

تمتلك حضرموت المكاتب الامتلك، لتكون مقرراً ملائماً وقاعدة نموذجية لتنظيم إرهابي كتنظيم «القاعدة». لبعدها عن المركز أولاً، حيث تبعد عن صنعاء حوالي 700 كيلومتر، ولا اتصالها من جميع الجهات مع مناطق تعتبر «مريحة» للتنظيم. على الأقل من حيث تلاشي قوة الدولة المركزية. كذلك تلعب اعتبارات أخرى دوراً ومنها العامل الجغرافي للمحافظة، حيث تحدها من الشمال حدود صحراوية طويلة مع السعودية، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق محافظة المهرة، المحافظة الكبيرة وذات الكثافة السكانية القليلة جداً ومن الغرب محافظة شبوة الكبيرة أيضاً جغرافياً، والموجودة فيها بعض معارك التنظيم القديمة، وأخيراً من الشمال الغربي محافظة مارب والجوف الصحراويتان، وبالتالي تصبح البقعة مهياً جغرافياً وعسكرياً واقتصادياً وتنظيمياً مستقبلياً لتوسع التنظيم نحو أفاق أبعد داخلية وخارجية

«القاعدة» في حضرموت:

أطماع السعودية وأدوات نفوذها

كيف سيطر التنظيم على المكلا وكيف يدير أهوار الناس في إمارته؟



أو ليلتين من الاشتباكات المتقطعة، كالقصر الجمهوري، والسجن المركزي، وقيادة المنطقة العسكرية الثانية، والبنك المركزي، وغيرها من المعسكرات والمقار الأمنية والاستخبارية. وإطلاق 300 من سجناء التنظيم قبل أن يصرار إلى مبايعة القيادي خالد باطرفي، الحضرمي الأصل، والسعودي المولد والجنسية، كامير للمكلا.

ما بعد سقوط المكلا

أضحت سيطرة «القاعدة» على المكلا أمراً واقعاً، وعمت حالة من الفوضى ولا تزال تلك المدينة الوديعه، حيث سادت حالة من التسبب المخيف، إثر اختفاء كل مظاهر الدولة الإدارية والأمنية، وانتشرت حالات السلب لبعض الممتلكات الخاصة، وأغلب الممتلكات العامة، وحرقت بعض المقرات الحكومية، وتفرغ عناصر التنظيم لنهب البنوك الخاصة، وأمضوا حوالي 3 أيام يحاولون فتح خزنة البنك المركزي، حيث تمكنوا في الأخير من تفجيرها. واختفت بعد ذلك كل المبالغ النقدية التي يحويها البنك والتي تفوق العشرين مليار ريال يمني، وبعض المبالغ من النقد الأجنبي، التي هي في معظمها عبارة عن مرتبات موظفي الدولة في هذه المحافظة.

ثم اتجه التنظيم بعد ذلك إلى نهب البنوك الخاصة الأخرى في المدينة، بنكاً تلو آخر، مما وفر للتنظيم سيولة نقدية طائلة، لتغطية نشاطاته، وتنظيم شؤونه الأخرى، وعلى رأسها استقطاب عناصر جديدة وتدريبها من شباب المنطقة، ثم إرسالهم إلى جبهات القتال الأخرى. وهذا أمر معلن ولا يحتاج إلى أي إثبات، حيث صرح أمير التنظيم في إحدى المقابلات الصحفية، إنهم يقاتلون في جميع جبهات القتال من عدن وحتى صنعاء، مروراً بلحج وتعز والبيضاء ومارب وغيرها، سواء كان ذلك عبر عناصر التنظيم في تلك الجبهات، المنضوين تحت مسميات «المقاومة الشعبية» في محافظات الشمال، أو «المقاومة الجنوبية»، في محافظات الجنوب، أو كان ذلك عن طريق عمليات التفجير الإنشائية، بالسيارات والأحزمة الناسفة، وخصوصاً في صنعاء، وقد رأينا كيف يستमित القائمون

في مداخل المدينة، بعناصر أخرى من قبله، بعد تردد شائعات أن هناك تسرب لعناصر حوثية تمت بشكل فردي إلى المدينة، ربما بتواطؤ من عناصر تلك النقاط السابقين. وأطلق الرجل حينها تصريحات نارياً حول استعداد قواته لمواجهة أي طارئ، وأن هذه المنطقة ستظل ومالية للرئيس «الشريعي»، مروراً بالقتال المفتعل مع عناصر «القاعدة»، الذي اقتصر على اشتباكات محدودة، ثم قيام مروحية تابعة لقواته صبيحة ليلة الهجوم، بقصف بعض المقار الحكومية الفارغة، كإذاعة «المكلا»، الذي أدى إلى احتراق مبنى الإذاعة بالكامل، بينما نجد أن مبنى البنك المركزي الملاصق لها،

المجتمع المحلي في المكلا، بعيد كل البعد في مزاجه عن فكر «القاعدة»، فهو مجتمع منفتح نسبياً

الذي كان الكثير من عناصر التنظيم يتجمعون عند بوابته وداخله، محاولين فتح خزنته، لم يتعرض لأي استهداف، ومواقف تمثيلية أخرى كثيرة مشابهة. ثم حصل ذلك الإنهيار الدراماتيكي غير المبرر، عسكرياً ولا حتى منطقياً، ويمكن أن نتخيل كيف كان عناصر التنظيم بأعدادهم القليلة يقاتلون في توقيت واحد في جبهات متعددة داخل المدينة، ويهاجمون مراكز بالغة الأهمية وأهدافاً عسكرية وأمنية حساسة، وعالية التحصين، تحرسها قوات تفوقهم بأعداد مضاعفة، جيدة التدريب والتسلح، ثم تسيطر عليها جميعاً في ليلة

(افرب)



بشكل متواصل ودون أي ضجيج، وإعطاء سكانها جنسيات سعودية، أخذين على الاعتبار حلمها الأكبر في الحصول على إطلالة بشكل أو بآخر على البحر العربي ومنه للمحيط الهندي لتصدير نفطها، حيث يسمثل ذلك متنفساً كبيراً لها، مقارنة بموانئ تصديرها الحالية على الخليج العربي والبحر الأحمر.

وفي السياق، تأتي التقارير التي تفيد عن توافر مخزون نفطي كبير في هضبة حضرموت الشمالية المتصلة بالربع الخالي ومنه بالحدود السعودية، ولعل هذا ما يفسر تركيز كل الشركات النفطية الحالية كلها، في الهضبة الجنوبية، فيما تخلو نظيرتها الشمالية من أي نشاط نفطي، طوال الفترة السابقة، حيث لم تمنح الحكومة المركزية في صنعاء، امتيازات تخفيف نفطي في هذه المنطقة، وإن منحت كما حصل في تجارب قليلة جداً سابقة، سرعان ما تنسحب تلك الشركات في ظروف غامضة، ولأسباب غير مبررة، حيث يبدو بل بالتأكيد أن هناك ثمة تنسيقاً بين الحكومات المركزية السابقة والمملكة.

سيطرة «القاعدة»

تعددت التفسيرات حول توقيت دخول «القاعدة» للمكلا في الثاني من شهر نيسان الماضي، بعد إنقضاء الأسبوع الأول لـ «عاصفة الحزم»، فذهب بعضهم للقول إن السعودية أرادت أن تنشئ بذلك حاجزاً يعيق الزحف الحوثي، ولكن حركة «أنصار الله» لم تكن قد اقتربت من ذلك المجال الجغرافي، بل كانت حينها لا تزال على أبواب عدن. وحلل البعض الآخر ذلك بأنه محاولة لاستدراج الحركة إلى تلك البقعة البعيدة لتخفيف الضغط على الجبهات الأخرى.

مع العلم أن الواضح مباشرة هو سعي السعودية لحجز تلك المنطقة الإستراتيجية لصراع آتٍ، إذا جاز التعبير، صراع هي من يحدد توقيتته بناء على معطيات القتال في الجبهات الأخرى، والأهم لاعتبارات الأطماع السعودية بحضرموت.

أما كيف جرت سيطرة «القاعدة» على أجزاء واسعة من هذه المنطقة الحيوية، والسيطرة على عاصمة حضرموت المكلا، التي تعد ثالث المدن اليمنية من حيث الأهمية، بعد صنعاء وعدن، فتبدأ الحكاية عند قائد المنطقة العسكرية الثانية، اللواء محسن ناصر وهو من الموالين للرئيس الفار عبدربه منصور هادي. الرجل قام قبل حوالي أسبوع من سقوط المدينة، بتغيير عناصر كل النقاط العسكرية التي تتحكم

عدنان باوزير

حضرموت هي المحافظة الأكبر جغرافياً في اليمن حيث تبلغ مساحتها حوالي 190 ألف كيلومتر مربع، لتشكل وحدها ما نسبته 36% من مساحة اليمن، في حين لا يصل إجمالي عدد سكانها المليون نسمة حسب آخر الإحصاءات، وتتوزع تضاريسها بين الجبال والهضاب والسهول الساحلية والأودية الداخلية، والصحارى. كل ذلك، إذا ما أخذنا في الحسبان عدد السكان، يوفر مساحات شاسعة خالية من البشر، وبقاع جغرافية غير مأهولة وأودية داخلية نائية، مما يوفر بيئة مثالية لتحركات عناصر تنظيم «القاعدة»، بعيداً عن أي مراقبة محتملة، وحتى لإنشاء معسكرات التدريب وغير ذلك من الأنشطة، ناهيك عن امتلاكها شريطاً ساحلياً على بحر العرب المفتوح بطول 450 كيلو متراً، أغلبه خال من البشر، مما يوفر ميزة إضافية لاستجلاب عناصر خارجية للتنظيم، أو أي امدادات لوجستية أو أسلحة، عوضاً عن امتلاك المحافظة 3 موانئ رسمية ومطارين دوليين، يقع أحدهما حالياً تحت سيطرة التنظيم. كذلك تعد حضرموت المحافظة الأغنى حيث تتركز أغلب الاستثمارات النفطية في البلد في هضبتها الجنوبية، التي يعمل فيها عدد من شركات إنتاج النفط الأجنبية، كـ «توتال» و«دوف»، و«كالفالي» وغيرها، وأخيراً توفر عدداً من المصادر والموارد الاقتصادية المتنوعة الأخرى، هذا في ما يتعلق بـ «القاعدة».

ثم هناك أهمية خاصة لهذه المنطقة بالنسبة للسعودية، قائدة تحالف العدوان العربي على اليمن، والحركة الأولى للتنظيم، والممولة الرئيسة لنشاطاته، وهي تمثل أهمية خاصة للمملكة، لأسباب جغرافية حيث تمثل حدودها معها أطول شريط حدود، مقارنة بباقي المناطق اليمنية الأخرى، ولأسباب ديموغرافية حيث يتداخل السكان وتشابه أنماط سلوكياتهم، وتكون أجزاء من القبيلة الواحدة أحياناً على جانبي الحدود، ناهيك عن وجود جالية حضرمية كبيرة في المملكة، تضم في قوامها عدداً من كبار التجار ورجال المال، أغلبهم قد أصبحوا مواطنين سعوديين بالتجنس، الذين لعبوا وما زالوا أدواراً مهمة في الاقتصاد السعودي.

الأطماع السعودية المعروفة، بدءاً بضمها لمنطقتي الشورة والودية أواخر ستينيات القرن الماضي، ومروراً بتوسيعها المستمر الذي لم يتوقف يوماً باقتطاع أجزاء تلو أخرى من صحرائها

«حضرموت العسكرية»



تعمل في حضرموت قيادة إحدى المناطق العسكرية الست في البلاد، وهي المنطقة العسكرية الثانية، التي تضم عدداً من التشكيلات العسكرية المهمة، وعددها 6 ألوية عسكرية، تقع 4 منها ضمن مناطق ساحل حضرموت التي أسقطتها «القاعدة»، وهي الألوية 27 ميكا، 123 مشاة، 190 دفاع جوي، ولواء حماية الشركات النفطية، بالإضافة إلى عدد من الكتائب القتالية العالية الكفاءة (كتيبة حرس جمهوري، كتيبة قوات خاصة، كتيبة صواريخ، كتيبة دفاع ساحلي، كتيبة نجدة مدرعة)، وتمتلك تلك الوحدات عتادا حربياً كبيراً من الأسلحة الثقيلة والآليات المدرعة، وناقلات الجند المصفحة، بالإضافة إلى الدبابات والمجنزرات والمدافع والزوارق الحربية، وأنظمة الدفاع الجوي المختلفة، والمضادات الجوية، ويبلغ تعداد قوام هذه التشكيلات العسكرية آلاف الجنود والضباط، فكيف استطاعت مجموعة مكونة من 200 فرد، أو 300 على أكثر تقدير، بأسلحة متوسطة، من رشاشات وقاذفات «آر بي جي»، وبعض الهاونات، من التغلب على تلك القوة الضاربة، في غضون يومين فقط من القتال الإفتراضي، فهذه قصة أخرى، وفصل آخر من مسرحية هزلية لا تنطلي على أسنخ البشر، ضمن سيناريو مطابق لسيناريو سقوط الموصل في يد «داعش»، سقطت المكلا بيد «القاعدة».